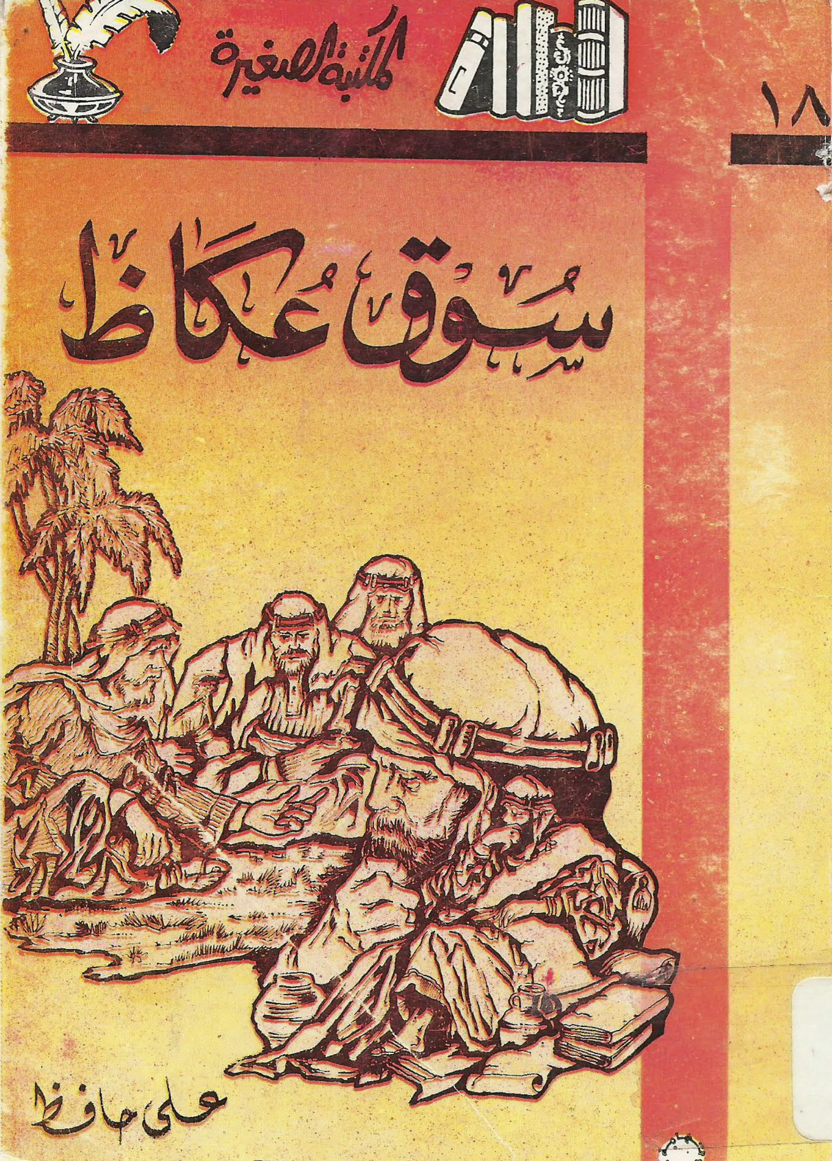

المكتبة الصغيرة
١٨
سوق عكاظ
علي حافظ

المكتبة الصغيرة

١٨



علي حافظ

الطبعة الأولى

رجب ١٣٩٦ هـ

يوليو ١٩٧٦ م

الغلاف : اعداد مؤسسة تهامة

العناوين : بقلم الفنان حمد الحارثي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

● سوق عكاظ معرض عام يشبه الى حد ما ، معارضنا اليوم ، بل هي أوسع مدى ، وأبعد أثرا فيما تعرضه فلا تقتصر على سوق التجارة ، والصناعة .. بل تتعداها الى أسواق الأدب والشعر واللغة ، والحرب ، والسلم ، والمفاخرة ، والمنافرة ، والتوجيه ، والعقائد ، والتقاليد والعادات ، والسياسة .. وهي الى جانب ذلك سوق اعلامية تؤدى رسالة الصحف والاذاعات ، ولكن بغير جريدة ولا مذياع .

ولعل سوق عكاظ أول ما تأسست كانت سوقا تجارية صناعية أشبه بالاسواق الدورية التى تقام في بلاد العرب في طولها والعرض ، وفي غيرها من أقطار العالم ، ثم تطورت عكاظ ، فانبثقت عنها الأسواق الشعرية والأدبية ، ثم انبثقت عن سوق الأدب والشعر أسواق

اخرى للسلم والحرب ، والسياسة ، والمفاخرة ، والعادات والتقاليد الى غير ذلك •

ويبدو ان الأدب والشعر هما المصدر الوحيد لهذه الأســـواق •

أليس من حق الأدب والشعر أن يتدخلا في كـــل نواحى الحياة خيرها ، وشرها وهزلها وجدها ، وكسلها ، ونشاطها ، ويقظتها وسباتها ؟

ترى هل نستطيع أن نبحث عن السبب الذى جعل عكاظ تصل الى ما وصلت اليه في دنيا الفكر والأدب والشعر والاقتصاد لماذا لم تكن الأسواق الاخرى مثلها ؟

هل الصدف هي التي وصلت بعكاظ الى هـــذا المستوى ؟

أم أن موقعها الجغرافي هو الذى أهّلها لأن تصل الى ما وصلت اليه ؟

أم أن أحدا خطط لها • فوصلت علـــى اسس ذلك التخطيط ؟

يخيل الي ان سوق عكاظ تطورت عفوا دون قصد ، وانها كانت أول الأمر تجارية وصناعية كغيرها من الأسواق العربية الدورية ، ثم أن أحد تجار عكاظ كان شاعرا أو أن واحدا من قبيلته كان شاعرا ، فنظم قصيدة أنشدها يروّج بها تجارته ويفاخر بها على غيره وحط من قيمة السلع الأخرى ، أو من سلعة تاجر معين فانبرى له ذلك التاجر وكان شاعرا ، أو انبرى له شاعر من قبيلته فنظم قصيدة يرد بها على الشاعر ويشيد بتجارته ويفاخر بقبيلته ومنتوجاتها ، ويحط من قدر تجارة منافسه •

وتطور هذا الحوار الشعري ، مع الزمن حتى توارت فكرته التجارية وحلت محله ، سوق شعرية،وخطب نثرية ، وصار للشعر محكمون يميزون بين جيده من رديئه ، الىان وصلت عكاظ الى ما وصلت اليه وربما أن موقعها الجغرافي وقربها من مكة وقرب انعقادها من أيام الحج سهل حضور أقطاب الشعر والأدب والفكر العربي لهذه السوق •

واذا قال أحد أن الشعر والأدب العربي لم ينقل لنا مثل ذلك الحوار • • أقول : انه توارى واختفت فكرته مع

الزمن ، بعد ان طغت عليه السوق الشعرية والأدبية العامة ، ويجدر بنا في هذه المقدمة أن نذكر البواعث التى دعت لتأليف هذا الكتيب وتسلله الى مكتبتنا الصغيرة حجما العظيمة أدبا ، وثقافة ونفعا وهضما •

● لقد قفزت فكرة احياء هذه السوق (سوق عكاظ) • • قفزت الى ذهن الفتى العربي الأديب سمو الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب ، فأخذ هذا الفتى العبقري يعمل لأحياء سوق عكاظ في موقعها التى كانت تعيش فيه • • وصمم على احيائها وهو رجل اذا قال فعل فكيف اذا صمم •

وابتعث بعثة أدبية يرأسها الشيخ عبد الله بن خميس الشاعر الأديب فعيَّن موقعها ميدانيا ، ودعى سمو الفتى فيصل بن فهد لفيفا من أدباء وشعراء المملكة لحضور مؤتمر احياء سوق عكاظ بالرياض ، فعقد المؤتمر عدة جلسات ، في أواخر شهر صفر وأوائل شهر ربيع الأول ١٣٩٥ ، وافتتحه سمو الأمير فيصل وكنت ممن دعي لحضور المؤتمر ، وحضرت ، وكنت أحد أعضاء لجنة البحوث فيه، وقد اتخذ المؤتمر قرارات ايجابية كما اختتمه سمو الأمير

فيصل بكلمة بليغة رائعة وأعلن في حفل الاختتام أن سوق عكاظ ستعقد في شهر شعبان ١٣٩٥ كما أعلن في حفل افتتاح المؤتمر أنه يرشح الاستاذ عبد الله بن خميس أمينا عاما لمشروع سوق عكاظ وقد وافق المؤتمرون على ذلك ، وأخذت الأمانة العامة تعمل لتوجيه الدعوة لأدباء وشعراء وكتاب البلاد العربية من الخليج للمحيط لحضور السوق ، وقد يدعى غيرهم من غير البلاد العربية •

ولقد دوّى ما قرره المؤتمر في دنيا العرب والأدب وتناقلته أجهزة الاعلام حتى أصبح انعقاد السوق في مكانها القديم في شهر شعبان ١٣٩٥ (قاب قوسين او أدنى) •

ثم حدث ان استشهد رائد هذه البلاد وفيصلها العظيم رحمه الله رحمة واسعة ، فأعلن سمو الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز بطل احياء سوق عكاظ تأجيل انعقاد السوق الى شعبان من السنة التالية ١٣٩٦هـ فهذا التحرك الأدبي العملاق لأحياء سوق عكاظ هو الذى أراد لهذا الكتيب أن يظهر في هذه المكتبة الحبيبة •

عكاظ .. الموقع والسوق ..

ولنعرّف موقع سوق عكاظ الذي حدده المؤرخون ، ولنعرف تأريخ ومدة انعقاده قبل أن نصور عكاظ بنماذج مما جرى فيها لنعرف الى أي مدى كان تأثيرها •

● اختلفت الروايات التى حاولت تعيين موقع سوق عكاظ ولكن الذي استقرعليه رأي سمو الأمير فيصل آنذاك جلالة الملك فيما بعد (رحمه الله) ورأي السيد رشدي ملحس ، وابن بليهد في عكاظ : انها كانت متنقلة على أرض تمتد من جنوب العشيرة الى السيل الصغير والحوية (١) وكل هذه الأماكن معروفة لأهل الطائف ومكة وللعرب اليوم•

● وكتب الاستاذ المحقق حمد الجاسر بحثا مستفيضا عن موقع سوق عكاظ فذكر في البحث أقوال المتقدمين

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٢٨٨ للاستاذ سعيد الافغاني

والمتأخرين ، وأورد ما له صلة من أرجوزة الرداعي باسماء الأماكن التى وصف فيها طريقه لعكاظ ، وذكر الأماكن التى مر بها حتى وصل لعكاظ وقال : (ان الأقوال تتلخص بان موقع سوق عكاظ في أعلى نجد وليس في تهامة ، ولا في الحجاز ، ولا في اليمن ، ولذلك عده ابن خرداذبة في كتاب المسالك ، وابن رسته في الأعلاق النفيسه ، والبكري في معجم ما استعجم من مخاليف (١) مكة النجدية .

وقال « ان جميع الأوصاف المتقدمة تنطبق انطباقا تاما على الارض الواسعة في شرق الطائف بميل نحو الشمال خارج سلسلة الجبال المطيفة به وتبعد تلك الارض عن الطائف مسافة (٣٥) كيلومترا تقريبا ، ويحدها غربا جبال بلاد عدوان (العقرب ، شرب ، العبيلاء) ، وشرقا صحراء ركبة ، وشمالا طرف ركبة والجبال الواقعة شرق وادى قران ، وتشمل هذه الارض ، وادى الأخيضر ، وهو المعروف قديما بوادى عكاظ ، ووادى شرب حينما يفيضان

---

(١) ملحق الجزء الثالث من عدد مجلة العرب للاستاذ حمد الجاسر لشهر رمضان ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م وفي القاموس المخلاف والكورة من البلاد البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى .

في الصحراء ، ويخرجان من الجبال ، وما بينهما من الارض، وما اتصل بهما من طرف ركبة » .

وأعتقد أن عكاظ كانت متنقلة في هـذه الاراضـي الواسعة التي يشملها التحديدان كما حققه جلالة الملك فيصل تغمده الله برحمته ، والاستاذ ملحس وابن بليهد .

أهـــل الســـوق

وبعد أن ذكر الاستاذ الجاسر ملخصا للأقوال عـن موقع السوق ، وهو يعني سوق عكاظ ـ انها في ديار قيس عيلان من مضر ، ثم بلاد بنى نصر بن معاوية بـن بكر بن هوازن بن قيس عيلان .

ثم ذكر المواضع التي بقرب سوق عكاظ وعدّهـا عشرة (١) وقال بأن هذه الجهات منازل هوازن ثم صارت لبنى هلال : والظاهر أن بنى هلال حلوها وقت قوتهـم وانتشارهم في القرنين الثالث ، والرابع الهجريين ، ثـم لما هاجروا بعد ذلك لمصر ثم للمغرب عاد سكانها القدمـاء

---

(١) ملحق الجزء الثالث من مجلة العرب لشهر رمضان سنة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م للاستاذ حمد الجاسر ص ١٥ و١٦ و١٧ و١٨ .

اليها فلا يزالون فيها ، فمن سكانها الجثمة وعدوان • • القبيلة القديمة التى منها حكيم العرب عامر بن الظرب وذو الاصبع الشاعر ، والعصمة حلفاء بنـــي جثم ، وثقيف ، وكانت تجاور هوازن (١) والمواضع العشرة هذه منهـا حوالى سبعة ذكر بعض المؤرخين أنها من عكاظ والباقيـة تلتحم بها التحاما • ولا يبعد أن اتخذ العرب بعض هذه المواضع سوقا لعكاظ ، فالأرض واسعة ، ومن أخصب تخير • • وقال الاستاذ الأفغاني : ان السوق لقيس بـن عيلان وهي بمعكد (٢) هوازن وأرضها لنصر ، والتعريفان لا يختلفان •

متى بدأت السوق ؟ ومتى أنتهت ؟

وقال الاستاذ سعيد الأفغاني : الأقوال اختلفت فـي مبدأ افتتاح سوق عكاظ ، وأنه من كل ذلك نعرف صحة مـا ذهبنا اليه من أنها افتتحت عام ٥٠٠ م وهذا يعنى أنهـا قبل الاسلام بحوالى قرن •

---

(١) نفس المصدر بعنوان (هـ ـ سكان هذه النواحى) .

(٢) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٢٩ . والمعكد الملجأ كما في القاموس .

وقال : بأنه لما جاء الاسلام ، وتوطدت أركانه في أرجاء الجزيرة العربية والعراق ، والشام بدأ شأن عكاظ يضؤل ، ولم تزل قائمة حتى خرج الخوارج مع المختار بن عوف بمكة سنة ١٢٩ فنهبوها فتركت للآن (١) .

في أي شهر كانت تعقد السوق ؟

وقال الاستاذ الأفغاني « بان الأكثرين على أن سوق تبدأ أول ذى القعدة وتستمر حتى العشرين منها حيث يرتحل الناس الى سوق مجنة ، فاذا أهل شهر ذي الحجة ذهب الناس لسوق المجاز الى يوم التروية فيبدأ الحج (١)

الحرير والعطور والسلاح من معروضات عكاظ

كان العرب يفدون الى سوق عكاظ كل عام من جميع أقطار وانحاء الجزيرة العربية ومن كل بلد ومن كل قبيلة.. كل يعرض محصوله ومنتوجه ، وصناعته فكانت تجلب لعكاظ مصنوعات ومنتوجات هجر ، والعراق ، وغزة ، ويجلب لها من البوادى السمن والأغنام ، ومن اليمن البرد الموشاة والأدم (الجلد) ويجلب لها أنواع الطيب

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٢٨٩ و٢٩٠ و٢٤٣ متنا وشرحا .

والعطور ، والحرير ، والاحذية ، والزيوت ، والزبيب من الشام ، كما يجلب لها السلاح ، والرقيق •

• كذلك كانت تصل الى عكاظ تجارة فارس ، وقد كان ملك الحيرة النعمان بن المنذر ، يبعث لعكاظ كل عام لطيمة (وهي العير المحملة مسكا) يرسلها في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له ويحميها من كل معتد حتى تصل سالمة لعكاظ فتباع هناك ، ويشترى بثمنها ما يحتاج اليه من أدم (جلود) الطائف وغير ذلك مما في عكاظ من حرير وعصب ومسير (١) •

• وبيعت في عكاظ حلّة ذي يزن فاشتراها حكيم بن حزام ليهديها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)

• ويبيع الفارس ما سلبه ، وكثيرا ما يكون هذا البيع سبباً في قتل صاحبه اذا أبصر السلاح المسلوب أحد من ذوى المقتول فعرفه فانه يضمرها في نفسه وينتظر حتى يظفر به ليثأر منه (٣) •

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام صحيفة ٢٧٩ والعصب العمامة وضرب من البرود والمسير الثياب المخططة : قاموس .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر صحيفة ٤١٤ و٤١٥ بتوسع .

(٣) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام أيضا صحيفة ٢٧٨ .

• ويعرض في عكاظ للبيع كثير من الرقيق الذى ينشأ عن الغزو وسبي الذرارى •

سلعة يترفع العكاظيون عن شرائها

شريعة سوق عكاظ وعرفها يمنع شراء البضائــــع المجهولة ، ولقد عرض بعض لصوص العرب ابلا للبيع في عكاظ وكان قد غنمها في غارة فسأله العكاظيون • ما نارك؟ أي ما سمة ابلك ، وكانوا يعرفون علامة كل قــوم التـى يسمون ابلهم بها ، فلما أكثروا عليه السؤال : قال :

يسألنـــــــى الباعة مـــا نجـارها
ان زعــزعــوهـا فسمت أبصارهـا

فكـــــل دار لأنــــاس دارهـــــا
وكـــل نـــار العالميـــن نـــارهـــا (١)

سيف وفرس من كسرى

وكان كسرى يرسل بالسيف القاطع والفرس الرائع

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٢٧٩ و٢٨١ و٢٨٢ ، وبلوغ الارب ٢ ــ ١٦٣ •

والحلة الفاخرة فتعرض في سوق عكـــاظ وينادى أن لا يأخذها الا من أذعنت له العرب وكان آخر من أخذ ذلـــك حرب بن أمية ، يريد كسرى أن يعرف بذلك سيد العـــرب ليكون عونا له •

سيف ملك اليمن وحلته

وكان أحد ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيِّد والحلة الحسنة والمركوب الفاخرة ليأخذه أعزّ العرب فاذا عرف دعاه ليفد اليه ويحسن صلته وجائزته (١) •

وتمتلىء عكاظ بالناس ويضيق بهم ، ويربح التاجر والجالب ربحا عظيما ويبيعون كل ما جلبوه ويشترون •

قال المرزوقي « دخلت سنة ٣٥ من عام الفيل فحضر السوق أناس لم يحضر مثلهم من قبل فباع الناس كل ما كان معهم من ابل وبقر ونقد وابتاعوا أمتعة مصر والعراق والشام •

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٢٩٣ و٢٩٤ .

السوق الشعرية الأدبية العكاظية

لون من ألوان الادب ذلك الــذى تخلل الســوق العكاظية التجارية ، فقد أحرج العكاظيون الاعرابي الذى عرض ابلا مجهولة غنمها في غزوة فرد بالأبيات الشعرية الذى قال فيها (وكل نار العالمين نارها) • • ردّ بذلك على محرجيه •

كذلك كان من اللمحات الأدبية بل والسياسية ما رافق معروضات كسرى وملك اليمن •

ولا أدرى هل يجمع العرب على أن واحدا أعزهم فيأخذ سيف وحلة ملك اليمن ، وعلى أن واحدا هو من تذعن له العرب ؟ أم أن هناك من ينافس المرشح لمن يحمل هذه الصفــة ؟

ولا يبعد ما قلته في المقدمة من ان أسباب تطور سوق عكاظ الى سوق أدبية والى أسواق اخرى هو مساجلات شعرية كانت أول ما أقيمت السوق من اللون الذى نظمه اللص العربي والله أعلم •

ولنعرّج على بعض ما عرض في سوق الشعر والادب

حسناء تتزوج في عكــاظ

ومما عرض في سوق عكاظ الأدبية الآتى :

● اجتمع يزيد بن عبد المدان ، وعامر بن الطفيل في عكاظ ، وقدم أمية بن الأسكر الكناني ، وتبعته ابنة له مــن أجمل أهل زمانها فخطبها يزيد وعامر ، فقالت زوجة أمية : ومن هذان الرجلان ؟ فقال لها أمية : هذا يزيد بن عبــد المدان وهذا عامر بن الطفيل • فقالت : أعرف بنى المدان ولا أعرف عامرا • فقال لها : أسمعت بملاعب الأسنة ؟ قالت : نعم • قال : فهذا ابن أخيه •

وأقبل يزيد يفاخر خصمه فقال : يا أمية ان ابن المدان صاحب الكتيبة ، ورئيس مذحج ، ومكلم العقاب ، ومن كان يصوّب أصابعه فتنتطف دما ، ويدلك راحتيه فتخرجان ذهبا • فقال أمية : بخ بخ مرعى ولا كالسعدان • فارسلها مثـــــلا (١) •

ثم وجّه يزيد لعامر اسئلة هي :

---

(١) السعدان اختر العشب لبنا ، واذا ختر اللبن (ثخن) فكان أفضل ما يكون وأطيب وأدسم ومنابت السعدان السهول • مجمع الامثال للميداني ج٢ ص ٢٩٩ وفرائد اللآلي ج٢ ص ٢٣٩ •

وهل تعلم شاعرا من قومى سار بمدحه الى رجل من قـــومــك ؟

قـــال : اللهـــم لا •

ـــ وهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم لقومى ؟ قال : اللهم نعم •

ـــ فهل لكم نجم يماني ، أو برد يماني ، أو سيف يماني ، أو ركن يماني ؟ قال : لا •

فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ قال : نعم •

فنهض يزيد وأنشد بيتين يفتخر بهما فزوجه أميــة ابن عبد المدان ابنته الحسناء • (١)

الشعر زوّج بنات المحلق

ممن يوافى سوق عكاظ كل عام الأعشى الشاعر،وكان المحلق الكلابي مئناثا (كثير البنات) فقالت له امرأته : يا أبا كلاب ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر ، فما رأيت أحدا اقتطعه الى نفسه الا وأكسبه خيرا ؟

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٢٩٣ و٢٩٤ .

قال ويحك ما عندى الا ناقتى وعليها الحمل !

قالت : الله يخلفها عليك !

قال : فهل له بدّ من الشراب والمسوح ؟ (١)

قالت : ان عندى ذخيرة لى ولعلى أجمعها ٠

فمرّ الشاعر الأعشى ، فتلقاه المحلق قبل أن يسبق اليه أحد ا وابنه يقوده ، فأخذ الخطام ، فقال الأعشى : من هذا الذى غلبنا على خطامنا ؟ قال : المحلق ٠ قال الأعشى : شريف كريم ٠ ثم سلمه اليه ، فأناخه فنحر له ناقته ، وكشط له عن سنامها ، وكبدها ثم سقاه ، وأحاطت بناته به يغمزنه ويمسحنه ٠

فقال : ما هذه الجوارى حولى ؟ قال المحلق : بنات أخيك وهن ثمان شريدتهن قليلة ٠

ثم خرج الأعشى من عنده ولم يقل فيه شيئا ٠

فلما وافى المحلق عكاظ ، اذا بسرحة (٢) قد اجتمع

---

(١) المسح جمعه مسوح البلاس يقعد عليه ، والبلاس البساط من شعر — قاموس —

(٢) السرح مص الماشية ، فناء الدار . كل شجر طال . أو كل شجر لا شوك فيه واحدته سرحه . قاموس

عليها الناس واذا بالأعشى ينشد الناس قصيدته التى مطلعها :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق
وما بى من سقم ، وما بى تعشق

ولكن أرانى لا أزال بحادث
أغادى بما لم يمش عندى ويطرق

الى أن قال :

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار باليفاع تحرَّق

تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق

وقال :

ترى الجود يجرى ظاهرا فوق وجهه
كما زان متن الهندوانى رونق

يداه يدا صدق فكَّف مبيدة
وكف اذا ما ضنَّ بالمال تنفق

فما أتم الأعشى قصيدته الا والناس ينسلون الى المحلق يهنئونه ، ثم أتى المحلق الأعشى فسلم عليه فقال الأعشى : مرحبا بسيد قوم ، ثم نادى يا معشر العرب هل منكم مذكار يزوج ابنه الى الشريف الكريم ؟

فتسابق الأشراف اليه جريا يخطبون بناته لمكان شعر الأعشى في نفوسهم ، فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة الا وقد زوجها ، ولم تمس واحدة منهن الا في عصمة رجل شريف (١) •

لنتصور هذا المهرجان الشعري عند تلك السرحة ، ونتائجه انه (مهرجان) أدبي من مهرجانات عكاظ •

ولقد نجحت فكرة زوجة المحلق ، ونجحت مغامرة المحلق بناقته • وهكذا يفعل الأدب والشعر فعل السحر انه زوّج ثمان فتيات في جلسة واحدة •

قبة الأدب والشعر في عكاظ

تنصب قبة في عكاظ من أدم (جلد) هي قبة الأدب والشعر واللغة في عكاظ •

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام صحيفة ٣١٦ و٣١٧ و٣١٨ و٣١٩ •

يتصدرها الحكم الذى يفاضل بين قصيدة هـــذا وقصيدة ذاك ، ويحاور الشعراء ، ويتحاورون مع الحكم ومع بعضهم انها مجمع أدبي بتعبيرنا اليوم ، أو هو يشبهه الى حد كبير تحت هذه القبة •

كان الحكم المحكم في هذه الجلســـة النابغـــة الذبياني ، وكان الشعراء الذين دخلوا القبة فيها الأعشى ، والخنساء ، وحسان بن ثابت الأنصاري •• وكان أول مـن دخل القبة على النابغة الأعشى •• وسبق الأعشى فأنشد شعره فحكم له النابغة بالتفوق ، ثم أنشدت الخنســـاء قصيدتها (قذى بعينك أم بالعين عوار) الى أن قالت :

وان صخـــرا لتأتّم الهـداة بـه
كـأنـه علـــم في رأســه نــار

وان صخـــرا لكـــافينـا وسيدنا
وان صخـرا اذا نشتـــو لنحّــار

فقال النابغة لها : لولا أن أبا البصير (كنية الأعشى) أنشدني قبلك لقلت انك أشعر الناس •• أنت والله أشعر مـن كـل ذات مثانــة !

قالت : ومن كل ذي خصيتين •

فقال حسان : أنا أشعر منك ومنها

قال النابغة : حيث تقول ماذا ؟

قال حيث أقول :

لنـــا الجفنات الغر يلمعن في الضحى
واسيـــا فنـــا يقطـــرن من نجدة دما

ولـــــدنا بنى العنقـــاء وابني محرق
فاكـــرم بنـــا خـــالا وأكرم بنا ابنما

فقال له النابغة : انك لشاعر لولا أنك قللت عــــدد جفناتك وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بم ولدك (١)

ان النابغة اعترف بأن شعر الخنساء يتفوق علـــى شعر الأعشى ، لولا أنه سبقها في الانشاد وهذا يعنى أن الحكم يسمع لشاعر فيحكم له دون ان يسمع لغيره قبـــل الحكم حتى يفاضل ، وفي هذا اجحاف بحق الشعـــراء الآخرين ، ثم ان مناقشته لحسان تدل على أن هذه القبـــة قبة نقد وحوار لا تفضيل بين الشعراء فحسب

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٣١٥ .

غربلة اللهجات العربية ونخلها

من كل أنحاء الجزيرة يتوافد العرب على سـوق عكاظ فيصل اليها التهامي واليمني ، والنجدي ، والعراقي ، واليماني ، والعماني ، والشامي وغيرهم ، وكل قطر من هذه الأقطار له لهجة عربية •

وتحت قبة الشعر والأدب يشترك دهاقنـة الأدب والشعر واللغة فيغربلون ، وينخلون ، ويصفون هـذه اللهجات حتى لا يبقى الا الأنسب والأرشق فيطرح للتداول ويقصى الثقيل المجفوّ •

وسوق عكاظ أول من وحّد لهجات القبائل العربيـة قبل نزو لالقرآن الكريم بأكثر من قرن ، وهيأ لقريشـ الزعامة والتحكم في اللغة والأنتقاء فسلمت من عيوب اللهجـات •

ويقصد عكاظ كل عام الخطباء المصاقع يخطبون ، والشعـراء الفحـول ينشدون ، والأعزة والأشراف يتفاخرون •• ويتسابقون فيقدمون أجود ما لديهم من

لمـــــــا رأيــــــت مـــواردا

للمـــوت ليس لهـــا مصـــادر

ورأيــــت قـــومـــى نحـــوها

تمضـــى الأكـــابـــر والأصاغـــر

أيقنـــــت أنـــــي لامحـــــا

لـــة حيــث صــار القــوم صائر

كان قس يخطب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلـم حدث السن ، يستمع له مع المستمعين ، وظل رسول الله يذكر هذا المشهد الى نحو أربعين سنة ، حتى وفد عليه في المدينة المنورة مع وفود العرب ــ وفد أياد قوم قس ، فسمع منهم وقال لهم : ما فعل قس بن ساعدة ؟ قالوا مات . قال صلى الله عليه وسلم : كأنى أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل أورق ، وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدنـــى أحفظـــــه .

قال رجل من القوم : أنا أحفظه فتلاه . فقال رسول الله : يرحم الله قسا انى لأرجو أن يبعث يوم القيامــة أمـــة وحـــده .

• وقال الجاحظ في البيان والتبيين ، لقس ولقومه فضيلة ليست لأحد من العرب لان رسول الله روى كلامه وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته وعجب من حسن كلامه ، وأظهر تصويبه ، وهذا شرف تعجز عنه الأماني وتنقطع دونه الآمال (١)

• وزعم بعض الكتاب انه كان بعكاظ اسقفية للنصارى (٢)

---

(١) اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٣١٣ ــ ٣١٤ متناوهامشا

(٢) مجلة المشرق السنة ٣٥ ص ٨٤ .

رسول الله يطلب الحماية

ويدعو للاسلام في عكاظ

وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بثلاث سنوات في سوق عكاظ يدعو الناس للخير ، والهدى ، والسعادة ، ولتوحيد الله ، وقد لزمه منذ قيامه بالدعوة حزن عميق على قومه الذين كفروا بما جاء به من عند الله فعزم على غشيان الموسم ، وأن يأتي للقبائل في منزلها وكل جماعة في حيِّهم يعرض عليهم دين الله .

وقام في عكاظ يقول : « يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وتنجحوا » ويتبعه رجل له غديرتان كأن وجهه الذهب ويقول :

« يا أيها الناس ان هذا ابن أخي وهو كذاب فاحذروه » . فعرف الناس أن هذا الصادّ عن سبيل الله هو عمه أبو لهب بن عبد المطلب يكذبه ، كلما قال كلمة حق (تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى

نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) •

عاود الدعوة مرارا في عكاظ فلم يستجب أحد ، ولم ييأس ، ورجا أن يجد فيهم الحامي ، والمجير على الاقل اذا لم يجد المستجيب فكان يقول للحي في موسم عكاظ :

« لا أكره منكم أحدا على شيء • من رضي الذى أدعوه اليه قبله ، وان كرهه لم أكرهه • انمـــا اريـــد أن تحوزونى مما يراد بى من القتل حتى أبلغ رسالات ربى ، ويقضى الله لى ولمن صحبنى بما شاء » •

كان الناس يعجبون من أمره وأمر عمه ، وهم بيـــن راض وغاضب ومتعجب،كان هذا دأبه عليه الصلاة والسلام حتى أن أحدهم قال له : أيها الرجل أما آن لك أن تيأس •

وانتهى رسول الله في تطوافه على القبائل في عكاظ الى بنى محارب بن خفصة ، فوجد فيهم شيخا بلغ عشرين ومائة سنة من العمر ، فكلمه ودعاه الى الاسلام وان يمنعه حتى يبلغ رسالات ربه فقال الشيخ : أيها الرجل قومك أعلم بنبئك ، والله لا يؤوب بك رجل الى أهله الا آب بشرّ ما يؤوب به أهل الموسم فأغن عنا نفسك • • وكان أبو لهب

قائما يسمع كلام المحاربى فقال أبو لهب للمحاربى : لـــو كل أهل الموسم مثلك لترك هذا الدين الذى هو عليه •• انه صابىء كذاب •

قال المحاربي : (غضب الله عليه) أنت والله أعرف به، هو ابن أخيك ، ولحمتك ، ثم قال المحاربي : لعل به يا أبـــا عتبة لما ، فان معنا رجلا من الحي يهتدى لعلاجه فلـــم يرجع أبو لهب بشيء •

وروى عبد الرحمن العامري عن أشياخ من قومـــه قـــالـــوا :

أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بسوق عكاظ فقال : ممن القوم ؟ قلنا : من بنى عامر بن صعصعة

قال من أى بنى عامر ؟ قلنا من كعب بن ربيعة قال : كيف المنعة فيكم ؟ قلنا : لا يرام ما قبلنا ولا يصطلى بنارنا • فقال :

ــ « انى رسول الله فان أتيتكم تمنعونى حتى أبلغ رسالات ربى ، ولم أكره أحدا منكم على شيء • قالوا : من أي قريش أنت ؟ قال : منبنى عبد المطلب • قالوا :فاين أنت

من بنى عبد مناف ؟ قال « هم أول من كذبنى ، وطردنى »
قالوا : ولكننا لا نطردك ولا نؤمن بك ، ونمنعك حتى تبلغ
رسالة ربك .

فنزل اليهم والقوم يتسوقون . اذا أتاهم بجرة بن
قيس القشيري فقال : من هذا الذى أراه عندكم ؟ أنكره
قالوا: هذا محمد بن عبد الله القرشي . قال : ومالكم وله.
قالوا : زعم أنه رسول الله يطلب الينا نمنعه حتى يبلـــغ
رسالات ربه . قال فماذا رددتم عليه ؟ قالوا : قلنا له :
في الرحب والسعة نخرجك الى بلادنا ونمنعك مما نمنع به
أنفسنا . قال بجرة : ما أعلم أحدا من أهل هذه السوق
يرجع بشيء أشرّ مما ترجعون به ، سوف تنابذكم الناس
وترميكم العرب عن قوس واحدة . قومه أعلم به ، لـــو
أنسوا منه خيرا لكانوا أسعد الناس به ، فبئس الرأي مـــا
رأيتم . ثم أقبل ــ لعنه الله ــ على رسول الله ، وقال: قم
الحق بقومك ، فوالله لولا أنك عند قومى لضربت عنقك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ناقته
فركبها فغمز بجرة الخبيث اللعين شاكلتها فقمصت (١)

---

(١) قمص الفرس وغيره رفع يديه معا وطرحهما معا وعجن برجليه ــ قامـــوس .

برسول الله فألقته • وعندبنى عامر يومئذ ضباعة بنت عامر ابن قرط رضي الله عنها، وكانت من النسوة اللائى أسلمن• جاءت زائرة الى ابن عمها فقالت : يا آل عامر ، ولا عامر لى أيصنع برسول الله هذا وهو بين أظهركم لا يمنعه أحـــد منكـــــم ؟

فقام ثلاثة نفر من بني عمها الى بجرة ، وثلاثة أعانوه فأخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الارض ، ثم جلس على صدره ، ثم نزلوا على وجوههم لطما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء •

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر الى شيخ لهم قد أدركته السن فلم يستطع حضور موسم عكاظ،فكانوا اذا قدموا عليه سألهم عمن كان في الموسم فأخبروه بما وقع بينهم وبين رسول الله ، فوضع الشيخ يده على رأســه وقـــال :

يا بني عامر هل لها من تلا ف؟ هل لذناباها من تطلب ؟

فو الذى نفس فلان بيده ما تقولها اسماعيلي قط

الا أنها الحق فأين كان رأيكم ؟ (١)

فكما كانت عكاظ أدبية شعرا ونثرا ، ونقدا ولغـــة وحوارا ، واقتصادا كذلك كانت عقائدية وتوجيهية ٠٠ ولم يجد رسول الله في عكاظ من يجير ويمنع ويؤمن ، وسخر الله له الأنصار في المدينة المنورة وكانوا خير أبرار وأنصار ٠



(١) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٣٢٥ الى ٣٢٠ ودلائل النبوة ص ١٠٠

العادات والتقاليد العربية في عكاظ

وكما كانت عكاظ سوقا تجارية وصناعية ، وأدبية وشعرية كذلك هي سوق لعادات وتقاليد العرب وأحوالهم الاجتماعية وبعض ما مرّ يدل على ذلك .

ومما جرى في عكاظ من التقاليد والعادات العربية والأجتماعية :

. وقوف عمر بن الخطاب قبل اسلامه في عكاظ مصارعا ، حتى أن خولة بنت ثعلبة استوقفت عمر في خلافته فوقف فقالت له : ايهاً يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا في سوق عكاظ تزع الصبيان بعصاك فلم تذهب الايام حتى سميت أمير المؤمنين (١) وخولة هذه هي التى سمع الله كلامها من فوق سبع سماوات وأنزل فيها (قد سمع الله

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٢٨٠ و٢٨٤ وطبقات بن سعد ج١ ص ٢٣٥ واجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم الجوزيه ص ٦٨

قول التى تجادلك في زوجها وتشتكى الى الله) (١)

• وهناك في عكاظ في زاوية من زواياه عرّاف وعائف، وقائف وقرد ، وغنم وصحيفة وكاتب ، يقف العكاظيون عندهم يسألون ويتفرجون ، ويتندرون •

• كذلك في زاوية من زوايا عكاظ واحد من غـــواة الشهرة يمد رجله وينشد شعرا ويقول من كان أعز العرب ـ فليقطع رجلى •

• وهذا عكاظي يأتى ببناته ترويجا لزواجهن • • ويأتى الناس لعكاظ ليختاروا من يتزوجونه في ظل عكاظ وجوها الحر العجيب •

• والذى يأتى أمرا شائنا تأباه مروءة العربي شهروا أمره في عكاظ ونصبو له راية غدر فعرفـــوه ، ولعنـــوه ، واجتنبوه ، وقاطعوه •

• وفي مكان من عكاظ خرج مناد لعامر بن الطفيـــل يقول : هل من راجل فنحمله ؟ هل من جائع فنطعمه ؟ هـــل من خائف فنؤ منه ؟

• ومن أراد أن يستلحق امرءاً بنسبه أعلن ذلك في

---

(١) الاسلام والمرأة ص ٣٥ .

• ومن أراد التبرؤ من قريب لسبب ما تبرأ منه علنا فاذا أتى بجريمة أو خيانة كان المتبرأ في حلّ منها كتقاليد العرب يومئذ ، فقيس بن الحدادية من شعراء الجاهليـــة وكان شجاعا فاتكا صعلوكا خليعا وقد جرّ على قومه خزاعة عنتا ، وارهاقا فخلعته خزاعة بسوق عكاظ ، وأشهدت على نفسها بذلك (١)

• والموتورون يأتون لعكاظ للبحث عن موتوريهم ، ومن له أسير يسعى لعكاظ لفك أسره ، ومن أراد أن يأتي عمـــلا تعرفه العرب عامة أتاه بعكاظ • ومن أتى مكرمة وأراد أن تخلد جاء لعكاظ يشهر فيها أمره •

وفـــاء عمر بن الشريد السلمي

وحضر عكاظ عمرو بن الشريد السلمي هو وابناه معاوية وصخر أخوا الخنساء الشاعرة ، وحضر السوق أيضا معمر بن الحارث جدّ جميل الشاعر الغزلي ، ويقوم معمر بحذاء عمرو بن الشريد ويأمر معمر ولده بخدمة عمرو

(١) الاغاني ١٢ ــ ٢٠ وأسواق العرب في الجاهلية والاســلام ص ٢٨٢ و٢٨٣ •

ابن الشريد ولما تقوّضت السوق دعا عمرو بن الشريد ابنيه معاوية وصخرا وقال لهما : « ان معمرا طوقنى بما لم يطوقنى أحد من العرب وقد أحببت أن اكافئه . فقالا له : افعل ما بدا لك . فدعا بكاتب وصحيفة وكتب له سند تمليك ملكه به ماله في الوحيدة من أخلاف يثرب ، وما به من أعراض ، وكل ما فيه على ضخامة ، وكل ما صمت كالذهب ، والفضة ، وصاء كالابل ونحوها ، وذكر كل ما في ذلك المال بدقة كاملة ، وقال انه منحه لمعمر دون عمرو -يعنى نفسه- ما توقد الحران ، وأقام حراء وثبير ، وأرخ السند سنة ٣٥ من عام الفيل الذى يؤرخون به وقتئذ ، وبقيت هذه المنحة عند معمر وعند ولده من بعده الى أيام الرشيد العباسي كما روى الأصمعي (١)

. وكما كانت عكاظ سوقا تجارية ، وصناعية ، وأدبية، وشعرية وسوقا لعادات العرب وتقاليدهم كذلك هي سوق خيرية وتعاونية ، وتربوية تزجر وتنهى وتشجع على العمل الطيب .

---

(١) الازمنة والامكنة ٢ ــ ١٦٨ وأسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٣١٩ و٣٢٠ و٣٢١

• وفي عكاظ أيضاسوق سياسة تتقضى فيها أمور كثيرة بين قبائل العرب ، فمن كانت له اتاوة جاؤوه بها ، ومن أراد تخليد نصر لحيه ذهب لعكاظ وأعلنه ، ومن أراد اعلان حرب على قوم أعلنه في عكاظ • • كذا كانت عكاظ ان طبيعة العربى وأخلاقه وعاداته هي التى كوّنت عكاظ وطورتها هكذا •

• وكم قضية ومشكلة أثارت حربا في عكاظ ، واذا تدخل العقلاء في صلح أدّى الى سلم بين القبائل في عكاظ•

زيد بن حارثة الاسير الذي اختار رسول الله

وقع زيد بن حارثة الاسير ، وبيع في عكاظ اشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد باربعمائة درهم ، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فضمّه اليه عليه السلام •

• وكان أبوه حارثة بن شراحيل حين فقده قال :

بكيت على زيـــد ولم أدر مـــا فعـــل
أحـــي فيرجى أم أتى دونـــــه الأجل

فو الله لا أدرى ، وان كنت ســـائلا
أغالك سهل الارض أم غالـــك الجبل

فيا ليت شعرى هـــل لك الدهر رجعة
فحسبـــي من الدنيا رجوعك لى بجل

الى أن قـــال :

تـــذكر فيـــه الشمس عنـــد طلوعهـــا
وتعرض ذكراه اذا قـــارب الطفـــل

وحجَّ ناس من كلب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال لهم أبلغوا أهلى هذه الأبيات :

ألكنى الـــى قـــومـــى وان كنت نائيا
بأنى قطين البيت عنـــــد المشاعـــر

فكفوا عــن الوجــد الذى قد شجاكم

ولا تعملوا في الاوض نصــ الابــاعر

فانـــــى بحمد الله في خير أســـــرة

كــرام معد كـــابـــر بعــد كـــابـــر

فاخبر الكلبيون أباه ، فتوجه حارثة وأخوه كعب أبناء شراحبيل الى مكة ، وقابلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد عند الكعبة ، وقالا له : يا بــن عبد اللـــه يا بن عبد المطلب يا بن هاشم ، يا سيدقومه : أنتم أهل حرم الله وجيرانه وعند بيته تفكون العانى وتطعمون الأسير ، جئناك في ابننا عندك فامنن علينا واحسن الينا في فدائــه فانا سندفع لك في الفداء قال : من هو ؟ قالوا : زيـــــد بن حارثة • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا غير ذلك ! قالوا وما هو ؟ قال : أدعوه فأخيره فان اختاركم فهو لكم بدون فداء ، وان اختارني فو الله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحدا فقالا : قد رددتنا على النصف وأحسنت •

فاحضر زيد وخير ، فاختار محمدا وقال : انـــى

رأيت في هذا الرجل شيئا ما أنا بالذى أختار عليه أحدا أبدا • وأشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان زيدا ابنه وانهما يتوارثان ، فلما رأى أبوه وعمه ذلك طابت نفسهما وانصرفا ، وزيد هو ابن حارثة بن شراحبيل بن كعب الكلبي ، وينتهي نسبه لقحطان • وزوّج رسول الله زيدا زينب بنت جحش وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب ، وكان زوجه قبلها مولاته أم أيمن فولدت له اسامة ، ثم لما طلق زينب زوجه أم كلثوم بنت عقبة ، وأمها تنتسب لعبد المطلب ، ثم طلق أم كلثوم وتزوج ردة بنت أبى لهب بن عبد المطلب ، ثم طلقها وتزوج هند بنت العوام اخت الزبير • • وما كان أحد يدعو زيد بن حارثة الا زيد ابن محمد حتى جاء الاسلام ونزلت الآية الكريمة (ادعوهم لآبائهم) • •

وحضر زيد معركة بدر ، وقاد سبع غزوات في سبيل الله ، أمّره عليهارسول الله آخرهاغزوة مؤتة التى استشهد فيها وعمره (٥٥) سنة ، ولم يرد في القرآن تسمية أحد باسمه الا زيد ، وكان رسول الله يقول : ان زيدا أحب الناس اليه • وصار المسلمون يقولون لزيد حب رسول

الله ، وهكذا كان زيدا أثيرا عند رسول الله ، وكان أسامة ابنه أيضا أثيرا عنده • • وقد أمَّره على جيش المسلمين لغزو الروم وعمره (٢٠) سنة قبل وفاته بايام وكان فـــي هذا الجيش أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، وسعد بن أبـــي وقاص ، وغيرهم من كبار الصحابة من المهاجرين والانصار •

وتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين ، فغضب صلى الله عليه وسلم ، وخطب النـاســ فقال : أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم في تأميرى اسامة ، ولئن طعنتم في تأميرى لأسامة لقد طعنتم فـــى امارتى أباه من قبله ، وأيم الله ان كان للأمارة لخليقا ، وان ابنه من بعده لخليق للأمارة ، وان كان لمن أحب الناس الي، وانهما لمخيلان لكل خير واستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم دخل صلى الله عليه وسلم بيته وبعد أيام توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فتأخر رحيل الجيش ، ولمـــا تولى الخلافة أبو بكر رضى الله عنه أمر أبو بكر بتوجيه جيش اسامة ، ولما ارتدت العرب كلم أبو بكر في جيشـــ اسامة فأبى وقاد اسامة الجيش وأدى مهمته خير أداء

وعاد للمدينة المنورة (١) ومن قصة زيد بن حارثة وابنه أسامة اتخذ أئمة المسلمين وعلماؤهم نصوصا تتبع في الفقه الاسلامي •

فرسان العرب في عكاظ

وأجمع العكاظيون ان فرسان العرب ثلاثة : فارس تميم عتبة بن الحارث بن شهاب صياد الفوارس ، وفارس قيس عامر بن الطفيل ، وفارس ربيعة بسطام بن قيس بن بكر بن وائل • ثم اختلفوا فيهم حتى نعوا عليهم سقطاتهم كما في الكامل للمبرد ص ٨٩ طبع ليدن •

قصة المستوغر في عكاظ

مر المستوغر بن ربيعة — وهو شاعر معمَّر — بعكاظ يوما وعلى ظهره ابن ابنه شيخا هرما فاعيا من حمله فوضعه بالارض وقال : عييتني صغيرا وكبيرا • فسمعه

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨٦ — ٩٠ — و١٨٩ والاصابة في تمييز الصحابة وبهامشة الاستيعاب في أسماء الاصحاب ج١ ص ٣٤ و٤٦ و٥٢٥ و٥٤٥ و٥٤٦

رجل فساءه ذلك فالتفت اليه ناصحا وقال :

يا عبد الله أتقول هذا لأبيك ؟ أحسن اليه فلطالما أحسن اليك •

فقال : أتدرى من هو ؟ قال : نعم ، هو أبوك أو جدك•

قال : هو والله ابن ابنى •

قال الرجل : ما رأيت شيخا أكذب • لو كنت المستوغر بن ربيعة ما زدت •

قال : أنا المستوغر بن ربيعة !

والمستوغر عمر طويلا جدا ، وأدرك صدر الاسـلام وبالغوا في عمره حتى قالوا : انه بلغ (٣٢٠) سنة ورووا له قولـه :

مئـة أتت مـن بعـدهـا مئتـان
وازددت مـن عدد الشهور سنينا(١)

---

(١) معجم الشعراء للمرزباني ٢١٣ والشعر والشعراء ص ٣٤٤ ومختلف تأويل الحديث لابن قتيبة ٣٦٠.

القضاء في عكاظ

قال المرزوقي : ان موسم عكاظ وقضاء عكاظ كان في بني تميم ، وان ممن تولى القضاء عامر بن الظرب العدواني، وسعد بن زيد مناة ، ولما جاء الاسلام كان يقضى بعكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم • وممن حكموا في سوق عكاظ الأدبية والشعرية النابغة الذبياني ومن سبقه ، ومن جاء بعده تضرب لهم القباب من الأدم (الجلد) ويجتمع حولهم وعليهم الشعراء من عامة الاقطار العربية وتشكل اللجان ــ كما يبدو ــ لتحكم للمتفوق على نحو ما يجرى في معارضنا حكما نافذ المفعول تنقله أجهزة اعلام سوق عكاظ من أقصى الجزيرة الى أقصاها •

أكرم بسوق عكاظ

أكرم بسوق عكاظ فقد كانت ملتقى الافكار ، والتقاليد والعادات والاخلاق الكريمة ، وكانت تقف في وجه الاخلاق السيئة ، وكانت ساحة نقد للشعر والأدب ، ومنطقة حوار في كل ما يجول في البال ، كانت حرة يتمتع فيها العكاظيون بكل أنواع الحرية في شتى مجالات الحياة •

أسواق العرب

أسواق العر بكثيرة ومتعددة في الجاهلية والاسلام، ولكنها لم تصل أبداً الى مستوى عكاظ لذلك امتلأت كتب الأدب العربي والشعر بعكاظ وما يجرى في عكاظ واكمالا لبحثنا نذكر أسواق العرب •

أسواق العرب في الجاهلية

ثمانية من المؤلفين تحدثوا عن أسواق العرب ، هم مع ذكر تواريخ وفاتهم : محمد بن حبيب في المحبر سنة ٢٦٨هـ واليعقوبي سنة ٢٧٨هـ ، والهمداني في صفة جزيرة العرب سنة ٣٣٤هـ وأبو حيان التوحيدي في الأمتاع سنة ٤٠٠ هـ والمرزوقي في الأزمنة والأمكنة سنة ٤٢١ هـ والقلقشندي في صبح الأعشى سنة ٨٢١ هـ والبغدادي في خزانة الادب سنة ١٠٩٣ هـ والألوسي في بلوغ الارب سنة ١٣٤٣ هـ

ذكروا في مؤلفاتهم ٢٦ سوقا ، منها خمسة انفرد بها

الهمداني هي بدر ، والجند ، ومكة ، ومنى ، ونجران ، واثنان انفرد باحدهما المرزوقي ، وهي الأسقى والثانية شاركه فيها التوحيد يوهي سوق أدم ، وهناك سوق واحدة أغفلها الجميع وهي سوق الحيرة • وقد تحدث سعيد الأفغاني عن (٢١) سوقا باضافة سوق الحيرة ، وأهمل السبعة التى انفرد بها الهمداني ، والمرزوقي والتوحيدي، وفيما يلي الاسواق التي اعتمدها الأفغاني :

١ ــ سوق دومة الجندل ــ وهي بلدة تقع في نقطة متوسطة بين الشام والخليج العربي على منتصف الخط الواقع بين العقبة والبصرة تقريبا بينها وبين دمشق خمس ليال •

٢ ــ سوق المشقر ــ حصن بالبحرين قرب هجر بين نجران والبحرين يقال انه بناء طسم وهو على تل عال •

٣ ــ سوق هجر ــ في جنوب الخليج العربي •

٤ ــ سوق عمان ــ كورة في جنوب الخليج تمتد على سواحل بحر اليمن •

٥ ــ سوق حباشة ــ في تهامة في ديار بارق نحو

قنونا على ستة أميال من مكة لجهة الجنوب •

٦ ـ سوق صحار ـ قصبة عمان مما يلى الجبل (توأم) قصبتها مما يلى الساحل قال المؤرخون : انها مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجر والساج وأنها على البحر وبها متجر البحر ، وانها لا توجد مدينة أكثر منها عمارا ومالا على شاطىء بحر العرب•

٧ ـ سوق دبي ـ وصفها صاحب مراصد الاطلاع ، أنها مدينة وبها سوق من أسواق العرب وهي مدينة قديمة مشهورة وكانت قديما قصبة عمان •

٨ ـ سوق الشحر ـ يطلق اسم الشحر على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب بين عدن وعمان •

٩ ـ سوق عدن أبين ـ نقل عن حواشى الكشاف للفاضل اليمني أن أبين اسم قصبة بين عدن وبينها ثمانية فراسخ •

١٠ ـ سوق صنعاء ـ قال ياقوت : صنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها تشبه دمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها •

١١ سوق حضرموت ـ حضرموت أقليم واسـع يشتمل على بلاد وقرى وجبال ، وأودية باليمن الى جنوبها الشحر والى شرقها عمان •

١٢ ـ سوق عكاظ ـ وقد تقدم موقعها ومستواها •

١٣ ـ سوق مجنة ـ موضع وقيل بلد قرب مكة على أميـال منهـا •

١٤ ـ سوق ذى المجاز ـ لهم في تحديدها قولان أحدهما أنها على فرسخ من عرفة بناحية كبكب ، وكبكب بعرفات والثاني انها موضع في منى •

١٥ ـ سوق نطاق خيبر ـ خيبر في شمال المدينـة المنورة بينها وبين تبوك ، ونطاق اسم حصن بخيبر •

١٦ ـ سوق حجر ـ قصبة بلاد اليمامة •

١٧ ـ سوق دير أيوب ـ ودير أيوب قرية بحوران بنـواحـى الشام •

١٨ ـ سوق بصرى في مشارف الشام وهي عاصمـة حـوران •

١٩ ــ سوق اذرعات ــ بلد بالشام قريبة منها وتسمى اليوم درعا •

٢٠ ــ سوق الحيرة ــ الحيرة معروفة بالعراق (١) •

أسواق العرب في الاسلام

● المربد في البصرة ــ لم يكن للاسواق العربية التى بعد الاسلام الشأن الكبير الذى كان لأسواق الجاهلية لان العرب تحضرت وسكنت الأمصار ، وكثرت فيها الاسواق الدائمة تحوى كل أنواع البضائع فلم تستجد في الاسلام سوق لم تكن في الجاهلية الا ما كان من أمر المربد الذى ورث عكاظ ، وقضى على ما كانت تتمتع به من ميزات منذ عضر الراشدين وأخذ أمر المربد (عكاظ الاسلامي) يزداد علوا وارتفاعا حين بدأ شأن عكاظ الجاهلية في الانخفاض •

ومعنى المربد محبس الابل ومربطها ، والمربد أيضا بيدر التمر • ومربد البصرة هذا متسع للابل تورد فيه

---

(١) ثمار القلوب ص ١٢٨ وأسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٤٠٧ ــ ٤٠٩

للبيع ، وكان في الاصل سوقا للابل ، وفي عهد الأمويين صار سوقا عامة تتخذ فيه المجالس ويخرج اليها الناس كل يوم ، كل الى فريقه وحلقته وشاعره ، وتتعدد فيه الحلقات يتوسطها الشعراء والرجّاز ويؤمها الاشراف – وسائر الناس ويتناشدون ويتفاخرون ويتهاجون ، ويتشاورون ، وقد وجدوا فيه مستجما لأبدانهم وأرواحهم ، وحنّت الى سابق عهدها بعكاظ فجددت منه ما سمح به الاسلام • بل أحيت أحيانا ما أمات الاسلام من حمية الجاهلية وأحن وغارات •

فقد كان المربد معرضا لكل قبيلة تعرض فيه شعرها، ومفاخرها كما تعرض عروضها ، وهو مجتمع العرب ومتحدثهم ومنتزه البصريين ، وصار يعلو شأنه ، فقد بنيت فيه القصور الجميلة وصار من الضروري لكل أحد في عصر العباسيين أن يغشى المربد ، ان لم يكن لحاجة فلترويح النفس ، وتمتيع البصر ، وترويض البدن وحتى قال جعفر بن سليمان الهاشمي جملته المشهورة : « العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، وداري عين المربد » وما زال مجد المربد في علو حتى

خرب وخربـــت البصرة وتقلّص العمــران بينهما الـــى أن صار بين المربد والبصرة ثلاثة أميال خراب على عهد ياقوت الذى ذكره في معجمه ٠



خاتمة

وبعد فشكرا للصديق الأديب الكبير الاستاذ عبد العزيز الرفاعى الذى أتاح لى دخول مكتبته الصغيرة التى هي صغيرة اسما العظيمة علما ، وثقافة ونفعا وأدبا فهي من أحسن ما عرفته بلادنا السعودية وهي في أوج نهضاتها العلمية والأدبية والثقافية .

هذا وأرجو أن أكون قد وفقت في التعريف بسوق عكاظ ولو بعض التعريف ...

المراجع

. أسواق العرب في الجاهلية والاسلام تأليف سعيد الأفغانـــــي
. ملحق الجزء الثالث من مجلة العرب للاستاذ حمـــد الجاسر لشهر رمضان ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م
. القاموس للفيروز أبادي
. تهذيب تأريخ ابن عساكر
. مجمع الامثال للميداني
. فرائد اللآل في مجمع الامثال للأحدب الطرابلسي
. مجلة المشرق
. طبقات بن سعد البكري
. اجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم الجوزية
. الاسلام والمرأة
. الأغانـــي
. الأزمنة والأمكنة للمرزوقي
. معجم الشعراء للمرزباني
. الشعر والشعراء
. مختلف تأويل الحديث لابن قتيبه
. الاصابة في تمييز الصحابة
. بلوغ الأرب
. الاستيعاب في أسماء الاصحاب

الفهرست

صفحة

مطابع الزايدي للأوفست

الكاتب والكتاب

* الاستاذ السيد علي حافظ من كبار الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية .
* ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٨ م وتلقى علومه في المسجد النبوي الشريف ، وحفظ القرآن الكريم وحصل على اجازة التدريس .
* شغل عدة وظائف حكومية هامة في المدينة المنورة ، منها رئاسة المجلس البلدي بها،ورئاسة بلديتها حتى عام ١٣٨٥هـ
* أنشأ مع أخيه الاستاذ عثمان حافظ جريدة المدينة المنورة ومطبعتها سنة ١٣٥٦ وتولى رئاسة تحرير جريدة المدينة من سنة ١٣٧١ هـ الى سنة ١٣٨٢ هـ .
* كما أسس مع أخيه أيضا مدرسة الصحراء بالمسيجيد بطريق المدينة ، وهي أول مدرسة أسست في البادية .
* متزوج وله أولاد .
* له مؤلفات متعددة طبع منها (فصول من تاريخ المدينة) .

أما هذا الكتاب ، فعرض موجز شائق لتاريخ سوق عكاظ يعتبر تلخيصا جيدا موفقا عن قيامه ، وانبثاق الحركة الأدبية فيه ، ومشاهيره ، وتاثيره . .